مَنْ هو إسرائيل؟

بقلم

الدكتور القسّ غبريال رزق الله

تقديم

القسّ أمير ثروت

تحرير

القسّ عيد صلاح

مُقَدِّمَةٌ:

إنَّ كتاب "من هو إسرائيل؟" للوالد الدكتور القسّ غبريال رزق الله[1] رغم صغر حجمه إلا أنَّ له أهمية خاصة جدًا؛ تعود إلى تاريخ نشره الأول: في عام 1970م، حيث لم يكن هناك اتجاه تفسيريّ ولاهوتيّ واضح في الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة بمصر حول الاسخاتولوجيّ–الفكر االلاهوتيّ حول الأخرويّات–وخصوصًا المتعلق بوضع شعب إسرائيل في المجئ الثاني للمسيح. إلا أنَّ الكاتب قدَّم طرحًا مهمًا في الفكر االلاهوتيّ الكتابيّ آنذاك حول هذا الموضوع؛ وقد كان كتابه هذا بمثابة الجزء الأول من سلسلة كان ينوي أن يستكملها–حيث وضع بقية مباحث هذه السلسلة على الغلاف الخلفيّ للكتاب في طبعته الأولى–فالجزء الأول–المنشور بين يديك الآن عزيزي القارئ–عنوانه: لقب إسرائيل، أما بقية الأجزاء فعناوينها تباعًا: مملكة إسرائيل، ثم سقوط إسرائيل، ثم ملك إسرائيل. غير أنَّ الكاتب لم يكمل خطته البحثيّة. ولو تتبعنا منهجيّة الكاتب في هذا المبحث الأول من دراسته فسنجده قد ركَّز بحثه حول إسرائيل كلقب كتابيّ–وإنْ كان الكتاب كلّه عبارة عن مقال مطول بلا فواصل ولا عناوين فرعيّة–فتكلم عن الصيغة اللفظيّة للقب في أصله العبريّ، ثم تكلم عن الصيغة الرمزيّة للقب في الشريعة والنبوات، ويمكننا أن نضع عناوين فصلية للكتاب، كما قام محرِّر النصّ، كالتالي:

1. إسرائيل ابني البكر دراسة للنصّ الكتابيّ الوارد في سفر خروج 4: 22
2. نسل إبراهيم دراسة للنصّ الكتابيّ الوارد في سفر تكوين 21: 12
3. عبدي إسرائيل دراسة للنصّ الكتابيّ الوارد في إشعياء 49: 3

وفي تتبعنا لهذه المحطات الكتابيّة التي اختارها الكاتب من التاريخ المقدّس نلاحظ أنه يتدرج بنا من الكلام عن إسرائيل كشخص إلى الكلام عن إسرائيل كشعب ليصل في النهاية إلى الكلام عن إسرائيل بمعنى كل من يؤمن، كما يظهر شرح تلك المحطة الأخيرة بوضوح عند الرسول بولس في الرسالة إلى كنيسة رومية: "لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ." (رو 2: 28، 29). فالفكر االلاهوتيّ الإنجيليّ المصلَح يتكلم عن إسرائيل الروحيّ المتحقق في الكنيسة؛ التي تتكون من كل شعوب العالم وليس من شعبٍ واحدٍ معينٍ؛ وهذا التعليم ينقلنا من الحصرية الإثنيّة إلى رحابة التعدديّة الإنسانيّة.

ومن الجدير بالذكر هنا، أنَّ كتاب "مَنْ هو إسرائيل؟" قد تمَّ ترجمته إلى اللغة الإنجليزيّة عام 2000م على يد الدكتور إسحق بولس، الذي قام بنشر الكتاب على نفقته الخاصة بالولايات المتحدة الأمريكيّة، كما قام بإيداع الكتاب في مكتبة الكونجرس الأمريكيّ.

[1] يمكن الرجوع إلى دراسة عن "**غبريال رزق الله المعلم الأول**" للقس أمير ثروت، نُشِرَت في العدد يناير 2021، ص 84- 87.

ونحن إذ نعيد نشر هذا الكتاب نهدف إلى استلهام منهجه في مواجهة الواقع الذي نعيشه في منطقتنا العربيّة اليوم، حتى يمكننا أن نطور من رؤيتنا في التعامل مع الحاضر والمستقبل أيضًا.

مَنْ هو إسرائيل؟

نلتقي بهذا الاسم "إسرائيل" لأول مرَّةٍ في التَّاريخ المقدّس، عند مَخَاضةِ، تُدعى "مخاضة يَبُّوق"، في نهر يُسَمَّى اليوم بوادي الزَّرقاء أو النهر الأزرق، في مناسبةٍ عجيبةٍ، لمظهرٍ فائق الطبيعة.

في ذلك المكان، كان يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، منفردًا، جزعًا يخشى ملاقاة أخيه عيسو، حاسبًا إيَّاه عدوًا لدودًا، مستعدًّا أنْ يقضى عليه. وعلى كلِّ مَنْ له ومَالهُ. وإذا بإنسان يبغته مفاجئًا إياه "وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ" (اقرأ تك 32: 22- 24).

في هذه المصارعة، استخدم يعقوب مع هذا الإنسان المصارع كلَّ ما فيه من قوى بَدنيَّةٍ، وجهادٍ عضليٍّ، فلم يُذعن له ولم يخضع لإرادته: ولما رأى (ذلك الإنسان)، "وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ، فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي»." (تك 32: 25، 26).

وقد علَّق الوحْيُ الإلهيُّ، بفم هوشع النبيّ، على موقف يعقوب هذا بقوله: "بَكَى وَاسْتَرْحَمَهُ" (هو 12: 4). وهو تعبيرٌ، يُبَيّن لنا الحال، التي كان عليها يعقوب، إزاء إدراكه قوة ذلك الإنسان التي لا يستطيعها. وكأنَّه أدرك أنَّه إنسان فوق العادة ولعلَّهُ وصل، في إدراكه إلى كونه، شخصًا إلهيًّا، فتمسَّك به باكيًا مسترحمًا قائلاً: "لاَ أُطْلِقُكَ؛ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي".

هنا انتهت المصارعة، بالخضوع التَّام لهذا الإنسان المصارع. ونتج، عن هذا الخضوع إعداد الفرصة لإعطاءِ البركة، التي قصدها ذلك الإنسان من تلك المصارعة، إجابةٍ لطلبِ يعقوب الملِحّ. وإتمامًا لقصد "يهوه" فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبُ، فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ." (تك 32: 27، 28) انظر (هو 12: 3، 4).

في هذا القول، بالتأمل الروحيّ الدقيق. وبكشف روح الرَّبِّ، يمكننا أن نُمسك بمفتاح المعرفة، لمعرفة مَنْ هو "إسرائيل" وسر هذه المعرفة ينكشف من:

أولاً: الصيغة اللفظيّة لهذا اللقب.

ثانيًا: الصفة الرمزيّة النبويّة لهذا اللقب.

أولاً: الصيغة اللفظيَّة للقب

هذه الصيغة، يَتبيَّن مدلولها في ذلك السبب المقترن بهذا اللَّقب، وهو قوله: "لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدَرْتَ" (تك 32: 28). وهو تفسير فيه نتبيَّن أنَّ هذا الاسم، ليس عَلَمًا من الأعلام؛ لذاتٍ من الذَّوات، أو لشخصٍ معيَّن بالذَّات، بل بالحري هو لقبٌ، أُعطِيَ ليعقوب، سوى اسمه. به يُسَمَّىَ، بمراعاة المعنى بخلاف الأَعلام، وهذا يدعونا إلى فحص هذا اللَّقب؛ لمعرفة حقيقته.

إسرائيل: صيغةٌ تتركب من كلمتين عبريَّتين إحداهما "يسْرَا" وثانيتهما: "إيْل". الكلمة الأولى فعلٌ. والكلمة الثانية اسم الجلالة "إيْل" أي "الله". أما الفعل؛ فقد صدر من يعقوب ولفظة "سَارِيتَ". وهو في العربيَّة مِن أصل سَرَا يَسْرُو. وسَرُوَ يَسْرو: وسَرِيَ يَسْرى (واويُّ) سَرْوَا وَسَرَاوَةً وسَرًا وسَرَاءً: كان سَرِيًا أي صاحب مرَوَّةٍ في شرفٍ أو صاحب سخاء في مروَّة. وهو السَّيّد الشريف السخيُّ: وسَرَوات القوم سادتهم ورؤسأؤهم. وفي هذا المعنى، يدخل اسم "سارى" زوجة إبراهيم (أميرتي) الذي تغيَّر إلى "سارة" (أميرة). وهو لفظ منه يتَّضح أنَّ "يهوه" اعتبر فعل يعقوب في جهاده عملاً شريفًا، يرفعه إلى درجة سَرَوَات القوم. ويعطيه حق الرِّياسة والسِّيادة، جاعلاً

خضوعه لسيادة العزَّة الإلهيّة ولإرادة الجلال السماويّ أساسًا لرفعته، متَّخذًا من بكائهِ واسترحامهِ ولجاجتهِ في نيل البركة سلَّمًا لصعودهِ إلى درجة الشرف عند الله، وإلى سموِّ القدرة في الجهاد مع الله وجهًا لوجهٍ.

وهذا يثبته لقب آخر هو لقب جديد أعطاء يعقوب نفسهُ لمكان هذه المصارعة حيث قيل: "فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "فَنِيئِيلَ" قَائِلًا: "لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك 32: 30، 31). وهنا نجد تغييرًا مزدوجًا:

1. تغييرًا في اسم يعقوب صدر من "يهوه".
2. تغييرًا في اسم المكان صدر من يعقوب وفي كلا التغييرين نستوضح معنى كلمة "إسرائيل". ونتعرف على إسرائيل الحقيقيّ.

أولاً: تغيير في اسم "يعقوب" إلى "إسرائيل"

هذان لقبان لشخصٍ واحد وما أوسع البعد بينهما! كالبعد بين أطراف الأرض. وبالحريّ: كالبعد بين الأرض والسماء: فلقب "يعقوب" يرينا شخصًا خارجًا من بطن أمه "وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو؛ فَدُعِيَ اسْمُهُ يَعْقُوبَ" (تك 25: 26 انظر هو12: 3). ويثبت لنا الوحي أيضًا علَّة هذا القبض موضحًا ذلك، بتقريره أمرًا عجيبًا، حدث في بطن رفقة، وهي حبلى؛ عبَّر عنه بالقول: "وَتَزَاحَمَ الْوَلَدَانِ فِي بَطْنِهَا" (تك 25: 22) الأمر الذي يَدُلُّ على أنَّ هذا القبض كان نتيجة عملية تزاحمٍ أو مصارعةٍ بين الولدين.

وإذ كبر الوالدان، أثبت يعقوب هذا التعقب لأخيه كما يتبيَّن جليًا في صرخةٍ عظيمةٍ ومرّةٍ جدًا، من قلب عيسو، عبَّر عنها بالقول: "أَلاَ إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ، فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بَكُورِيَّتِي، وَهُوَذَا الآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي." (تك27: 34- 36 اقرأ ص 25: 27- 34، ص 27). وقد تحوَّلت هذه الصرخة المرّة إلى حقدٍ، تمكَّن مِن قلب عيسو وأصبح نيَّة مبيَّتة لقتل يعقوب، فقال في قلبه: "قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي" (تك27: 41).

وانتهى الأمر بهروب يعقوب إلى فدَّان أرام في أرض حاران (تك 27: 42- 46؛ 28: 1- 5) وطالت الأيام في تلك الأرض إلى عشرين سنةٍ عاد بعدها، ليتقابل مع عيسو، وقد كان يعمل لتلك المقابلة، ألف حسابٍ، خوفًا ورعبًا لئَّلا يبطش به ويسحقه ويبيد كل مَن له ومَاله (اقرأ تك 28: 23- 32). وهنا يصل، بنا المجال إلى ميدان المصارعة، عند مخاضة يبوق، الذي فيه تغيَّر اسم "يعقوب" إلى "إسرائيل" كما سبق فرأينا وفيه نرى تغيير لاسم المكان من "يبوق" إلى "بنيئيل" (تك32: 30).

ثانيًا: تغيير لاسم المكان من "يبوق" إلى "بنيئيل" (تك32: 30)

وما أوسَعَ البعد بين البقبقة واللقلقة في تلك المخاضة! وما يتلوث به الناس، في خوضها، مشاةً وركبانًا، ذهابًا وإيابًا! وبين رؤيا الجلال الإلهيّ، في "بنيئيل": رؤيا البهاء والمجد السماويّين، أما أبعد الشُقة بين يعقوب منطلقًا عَبَر تلك المخاضة نحو أرض سَعير، بلاد أدوم، نحو أخيه عيسو، والخوف يملأ قلبهُ. ويهزُّ كل أعصابه. والرُّكب تصطك، والبدن يرتجف. والنفس معذبة: ما أعظم الفرق بينه في هذه الحال! وبين "إسرائيل" وجهًا لوجهٍ أمام "إيْل" ونور المحبة يسطع ووجه الرضى الإلهيّ يلمع.

عاملان يتنازعان "الخوف" في يعقوب، و"المحبُّة" في إسرائيل. وهما ضدَّان لا يجتمعان. وعدوَّان لا يتصالحان كما يتبيَّن من قول الوحي المقدّس: "لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ. نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلًا." (1 يو 4: 18، 19).

وإن كان الله قد أحبَّ يعقوب، كما أعلن صريحًا في قوله الصادق: "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ" (قابل ملا 1: 2؛ مع رو9: 13) فمن أين هذا الخوف، الذي له عذاب في قلبه، ألا يعتبر ذلك دليلاً على أنَّه "فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" لا في محبة الله ولا في محبة الأخوة كما

قيل: "إِنْ قَالَ أَحَدٌ: إِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟ وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيْضًا" (1 يو4: 20، 21).

إذًا لم يكن يعقوب الذي لم يتكمَّل في المحبة هو إسرائيل بالرغم من إعلانات تلك المحبة الفائقة وبالرَّغم من تجلّياتها، في تلك الرؤْيا وبالرَّغم من سموِّ البركة التي شملت يعقوب؛ بتغيير اسمه إلى إسرائيل بالرَّغم من كلِّ ذلك، لم يتغيَّر يعقوب فلم يصر "إسرائيل" ولم يكن "إِسْرَائِيلِيًّا حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ" (يو1: 47). بل ولَّى ظهرهُ "لفنيئيل" (أي وجه الله) وخرَّ صريعًا أمام الخوف من عيسو. ودنَّس اللَّقب الإسرائيلي، لقب السيادة والشرف. وألقى به في أقذار المخاضَّة حين رفع عينيه وَرَفَعَ يَعْقُوبُ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا عِيسُو مُقْبِلٌ وَمَعَهُ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُل، فَقَسَمَ الأَوْلاَدَ عَلَى لَيْئَةَ وَعَلَى رَاحِيلَ وَعَلَى الْجَارِيَتَيْنِ. وَوَضَعَ الْجَارِيَتَيْنِ وَأَوْلاَدَهُمَا أَوَّلًا، وَلَيْئَةَ وَأَوْلاَدَهَا وَرَاءَهُمْ، وَرَاحِيلَ وَيُوسُفَ أَخِيرًا. وَأَمَّا هُوَ فَاجْتَازَ قُدَّامَهُمْ وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ سَبْعَ مَرَّاتٍ حَتَّى اقْتَرَبَ إِلَى أَخِيهِ. فَرَكَضَ عِيسُو لِلِقَائِهِ وَعَانَقَهُ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ، وَبَكَيَا. ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَأَبْصَرَ النِّسَاءَ وَالأَوْلاَدَ وَقَالَ: مَا هؤُلاَءِ مِنْكَ؟ فَقَالَ: الأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ بِهِمْ عَلَى عَبْدِكَ. فَاقْتَرَبَتِ الْجَارِيَتَانِ هُمَا وَأَوْلاَدُهُمَا وَسَجَدَتَا. ثُمَّ اقْتَرَبَتْ لَيْئَةُ أَيْضًا وَأَوْلاَدُهَا وَسَجَدُوا. وَبَعْدَ ذلِكَ اقْتَرَبَ يُوسُفُ وَرَاحِيلُ وَسَجَدَا. فَقَالَ: مَاذَا مِنْكَ كُلُّ هذَا الْجَيْشِ الَّذِي صَادَفْتُهُ؟ فَقَالَ: لأَجِدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْ سَيِّدِي. (اقرأ تك 33: 1- 8 مع 32: 13- 21) وهل يطلب "إسرائيل" المبارك من الله "نعمة" من "عيسو" الزاني المستبيح الذي باع باكوريته لأجل أكله واحدة من طبيخ عدس؟ (راجع شرح عب 12: 16. 17).

أين شرف السَّيادة، الذي يحملهُ لقب "إسرائيل"؟ لقب القدرة في الجهاد مع الله والاستظهار على الناس والسموِّ عليهم هل ينطبق هذا الاستعباد على قصد الله الذي أعلنه لرفقة أمه في قوله: "كبير يستعبد لصغير"؟ (تك 25: 23 مع رو 9: 12) وأوحى به إلى أسحق أبيه وهو يباركه قائلاً: "لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ." (تك 27: 29، 33، 37).

أين سيادتك يا إسرائيل التي أعطيتها في لقبك هذا؟ أين إكليل فخرك، لقد دنَّسته في التُّراب؛ وأنت تقيس الأرض بطولك سجودًا، سبع مرَّات، وتلقي بنفسك عند رجلي عيسو، الذي أبغضه "يهوه" وتضع ذاتك عبدًا أمامه كسيّد، متعبدًا عند قدميه كإله؟ لقد أضعت الشرف وأهنت السّيادة ونقضت العهد الإلهيّ يا للعار يا إسرائيل!

وهل يُنقض الوعد؟ وهل تسقط كلمة الله؟ وهل يضيع شرف إسرائيل؟ حاشا: "أَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلًا." (رو 9: 6- 8 اقرأ ع1- 16) فإسرائيل حسب الجسد ليس هو إسرائيل. وأولاد الجسد ليسوا هم أولاد الله، فإسرائيل الحقيقي، إذًا، هم أولاد الموعد المختارون من كلِّ أمَّةٍ وقبيلةٍ ولسانٍ وشعبٍ، في أربع رياح الأرض المحافظون على قلب تلك السيادة والشرف (قابل رؤ 5: 9، 10؛ 7: 1- 3، 9 مع مت 24: 30، 31).

إذا أضفنا إلى ما فعلهُ يعقوب من إهانة لقب إسرائيل وضيع شرفه في سجوده لأخيه؟ إذا أضفنا إلى ذلك ما فعله يوم أن سكن في سُكُّوتَ، حيث "بَنَى لِنَفْسِهِ بَيْتًا، وَصَنَعَ لِمَوَاشِيهِ مِظَلاَّتٍ.. وَأَقَامَ هُنَاكَ مَذْبَحًا وَدَعَاهُ «إِيلَ إِلهَ إِسْرَائِيلَ». (اقرأ تك33: 17- 20). وقد نسى عهدهُ مع الله الذي ظهر لهُ يوم أن هرب من وجه عيسو واستجاب له في ضيقته، وسار معهُ في الطريق الذي ذهب إليه، والتقى به عند رجوعه في مَخَاضة يَبّوق، حيث رآه وجهًا لوجه وباركهُ ودعى اسمه إسرائيل. فقد نسى بيت إيْل، مبتعدًا عن وجه الله، واستقر في الأرض بين الأرضيات، وملأ بيته بالآلهة الغريبة وباقراط الذهب، واختطَّ لنفسه عبادة حسب شهوة قلبهِ، واختراع عقله، ليعبد الله والمال، غير مفرّقٍ، بين عبادة الإله الحقّ وبين الأباطيل الكاذبة، وابتعد عن البساطة في الحق الإلهيّ فانطبق عليه قول السيد: "وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ

شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِمًا، فَإِنْ كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلاَمًا فَالظَّلاَمُ كَمْ يَكُونُ" (قابل مت 6: 22- 24 مع 2 كو11: 1- 3).

إذا أضفنا ذلك أيضًا نرى صورةً بارزة تُحقِّق لنا، أن يعقوب لم يحقِّق لقب إسرائيل في شرف السِّيادة مع الله والتغلب على شهوة نفسه، الأمر الذي يحقق ما قاله رسول الأمم: "لأَنَّ الْيَهُودِيَّ فِي الظَّاهِرِ لَيْسَ هُوَ يَهُودِيًّا، وَلاَ الْخِتَانُ الَّذِي فِي الظَّاهِرِ فِي اللَّحْمِ خِتَانًا، بَلِ الْيَهُودِيُّ فِي الْخَفَاءِ هُوَ الْيَهُودِيُّ، وَخِتَانُ الْقَلْبِ بِالرُّوحِ لاَ بِالْكِتَابِ هُوَ الْخِتَانُ، الَّذِي مَدْحُهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ بَلْ مِنَ اللهِ." (رو 2: 28، 29 اقرأ ع 25- 29).

ولكن الله لا ينسى وعده ولا ينقض عهده، فهو "لَيْسَ اللهُ إِنْسَانًا فَيَكْذِبَ، وَلاَ ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلاَ يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفِي؟" (قابل عد 23: 19 مع 1 صم 15: 39 مع مز 110: 4) "فَمَاذَا إِنْ كَانَ قَوْمٌ لَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ؟ أَفَلَعَلَّ عَدَمَ أَمَانَتِهِمْ يُبْطِلُ أَمَانَةَ اللهِ؟ حَاشَا! بَلْ لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: لِكَيْ تَتَبَرَّرَ فِي كَلاَمِكَ، وَتَغْلِبَ مَتَى حُوكِمْتَ." (رو3: 3، 4 اقرأ ع1- 4)، "أَنَّ هِبَاتِ اللهِ وَدَعْوَتَهُ هِيَ بِلاَ نَدَامَةٍ" (رو11: 29 اقرأ ع 27- 29).

فلأجل كلمتهم المصفَّاة النقيّة الممحوصة سبع مرات (مز 12: 6) وإتمامًا لمقاصده التي لا بدّ أن تتم، قال ليعقوب: "ثُمَّ قَالَ اللهُ لِيَعْقُوبَ: قُمِ اصْعَدْ إِلَى بَيْتِ إِيلَ وَأَقِمْ هُنَاكَ، وَاصْنَعْ هُنَاكَ مَذْبَحًا للهِ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ حِينَ هَرَبْتَ مِنْ وَجْهِ عِيسُو أَخِيكَ، فَقَالَ يَعْقُوبُ لِبَيْتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ مَعَهُ: اعْزِلُوا الآلِهَةَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي بَيْنَكُمْ وَتَطَهَّرُوا وَأَبْدِلُوا ثِيَابَكُمْ. وَنَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحًا، وَدَعَا الْمَكَانَ إِيلَ بَيْتِ إِيلَ لأَنَّهُ هُنَاكَ ظَهَرَ لَهُ اللهُ حِينَ هَرَبَ مِنْ وَجْهِ أَخِيهِ.. وَقَالَ لَهُ اللهُ: اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ. هناك ظهر له الله وجدد له لقب إسرائيل وهو ذلك اللقب الذي سبق أن رأينا أن يعقوب دنسه. وفي هذا التجديد إعلان بأنه لقب لا يليق إلا بحافظي العهد المقدّس الذين يرون الله وجهًا لوجه في عبادة طاهرة نقية وعلاقة مقدَّسة مجيدةٍ وجهادٍ شريفٍ من جلاله" (اقرأ تك 35: 1- 10).

الآن! وقد رأينا "إسرائيل الحقيقيّ" بارزًا في معنى اسمه، بحسب الصِّيغة اللفظيّة الأصليَّة، في اللغة العبريّة، حيث رأيناه لقبًا، يرتفع به إلى مرتبة الشرف العليا، بين سَرَوَات القوم هي مرتبة الجهادح مع الله للاستظهار والسموّ على الناس: مرتبة الجهاد ضدَّ الخطيَّة، التي أشار إليها الرسول في قوله: "لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ" (عب 12: 4): "جَاهِدْ جِهَادَ الإِيمَانِ الْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (1 تي 6: 12) وهي تلك المرتبة التي وصل إليها رسول الأمم، وعبَّر عنها بالقول: "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الإِيمَانَ وَأَخِيرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهَبُهُ لِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقَطْ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا" (2 تي 4: 7، 8) وهي تلك المرتبة التي رآها الرَّب بعلمه الإلهي في "نثنائيل" وهو تحت التينة، مجاهدًا في الصلاة مع الله فقال "هُوَذَا إِسْرَائِيلِيٌّ حَقًّا لاَ غِشَّ فِيهِ" (يو 1: 47 اقرأ 45- 50).

إلى مرتبة "إسرائيل" العليا: وإلى أسمى درجات شرفها وصل "ابن الإنسان" العجيب: "ابن الله الوحيد" فإنَّه "وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ" (لو 22: 44 اقرأ ع 39- 46 مع عب 5: 7- 10؛ 12: 1، 2) هذا هو إسرائيل الحقيقي: مع الخليقة الجديدة: المعينين ليكونوا مشابهين له المدعوين "إسرائيل الله". الذين عبر عنهم رسول الأمم بالقول: "وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ، أَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلاَ الْغُرْلَةُ، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ، فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ، وَعَلَى إِسْرَائِيلِ

اللهِ." (قابل رو 8: 29، 30 مع 2 كو 5: 17 مع أف 1: 3- 6 مع غل 6: 14- 16). وهذا هو ما نرجو أن ينكشف لنا أكثر فأكثر عند تأملاتنا في الآتي: الصفة الرمزيّة النبويّة في هذا اللقب إسرائيل.

ثانيًا: الصفة الرمزيّة النبويّة في هذا اللقب إسرائيل

ويمكن أنْ نتبيَّن هذه الصفة على الأقل في ثلاث كلمات نبويّة جوهريّة، نطق بها "الْعَلِيُّ الْمُرْتَفِعُ، سَاكِنُ الأَبَدِ، الْقُدُّوسُ اسْمُهُ" (أش 57: 15): وهذه الكلمات الثلاث هي: الكلمة الأولى: قوله تعالى اسمه "إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ" (خر 4: 22)، الكلمة الثانية قولهُ جلَّ جلالهُ: "نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي" (إش 41: 8)، الكلمة الثالثة: قولهُ له المجد: "أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أَتَمَجَّدُ" (إش 49: 3).

الكلمة الأولى: قوله تعالى اسمه "إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ" (خر 4: 22)

وهي كلمة نطق بها العلى المرتفع بفم "موسى" كليمه مخاطبًا فرعون ملك مصر، يوم دعوته لهذا الابن البكر من مصر تلك الدعوة التي عبر عنها النبيّ هوشع بقولهِ عن فمِ الرَّبِّ نفسه: "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ، وَمِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (هو 11: 1) مشيرًا إلى تلك الدّعوة الموسويّة التاريخيّة السابقة، بكلمةٍ نبويَّةٍ فسَّرها الرَّوح القدس في إعلانات العهد الجديد، يوم تمت في دعوة الابن البكر، الوحيد، من مصر كما يتضح من القول: وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا، إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلًا: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ، "فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ: وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنبيِّ الْقَائِلِ: مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي" (اقرأ مت 2: 13- 15؛ مع هو11: 1 مع خر 4: 22، 23؛ 12: 29- 34 اقرأ ع 29- 51). حيث نرى أنفسنا أمام موسى والأنبياء في تفسير الإنجيل بوحي الروح القدس ونتبيَّن من ذلك التفسير، بوضوح تام شخصية إسرائيل الحقيقيّ "الابْنِ الْبِكْرُ".

مع موسى، نقف أمام دعوة تاريخيَّة واقعيَّة فيها يرسم لنا الوحي المقدّس صورة تمثيليَّة رمزيَّة نبويَّة لذلك "الابن البكر"، "اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ" وهو متجسد في "ملء الزمان، في أرض ظلمة". وفي "كورة الموت وظلاله" (قابل يو 1: 18 مع غل 4: 4 مع مت 4: 16؛ مع إش 9: 1- 7 مع أف 5: 8)، حيث تتمثل قوة الشيطان في ذلك التنين الفرعونيّ لوياثان، الحيَّة الهاربة لوياثان، الحيَّة المتحويَّه، التنين الذي في البحر "التِّمْسَاحُ الْكَبِيرُ الرَّابِضُ فِي وَسْطِ أَنْهَارِهِ، الَّذِي قَالَ: نَهْرِي لِي، وَأَنَا عَمِلْتُهُ لِنَفْسِي" (قابل إش 27: 1؛ 51: 9 مع مز 74: 13، 14 مع حز 29: 3؛ 32: 2 اقرأ حز ص 29- 32).

هذه القوة الفرعونيَّة الغاشمة "الحيَّة المتحويَّة ضد إسرائيل الجسديّ، تمثل كلَّ قوى الأرض الوحشيَّة، السياسيَّة والدينيَّة، التي تريد تحت سيطرة التِّنين الأحمر العظيم الحيَّة القديمة المدعو إبليس والشيطان" (رؤ 12: 9 اقرأ كل الأصحاح) أنْ تستعبد "إسرائيل"، "الابن البكر الوحيد" وأنْ تذلّه ولكن هيهات؛ كما قال الرسل: "أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا لْقَائِلُ بِفَمِ دَاوُدَ فَتَاكَ: لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ بِالْبَاطِلِ؟ قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ، وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعًا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ. أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ الْقُدُّوسِ يَسُوعَ، الَّذِي مَسَحْتَهُ، هِيرُودُسُ وَبِيلاَطُسُ الْبُنْطِيُّ مَعَ أُمَمٍ وَشُعُوبِ إِسْرَائِيلَ، لِيَفْعَلُوا كُلَّ مَا سَبَقَتْ فَعَيَّنَتْ يَدُكَ وَمَشُورَتُكَ أَنْ يَكُونَ." (اقرأ أع 4: 24- 28 مع مز 2: 1- 3؛ 41: 5- 9؛ 55: 12- 14، 120 مع يو 1: 13؛ 2: 21- 3 مع أي 19: 19؛ إر 20: 10 اقرأ مت 2: 26، 31- 35 وص 27 مع رؤ 19: 11- 21).

أما صيغة الدعوة من مصر، ففيها نستمع إلى نغمة موسيقيّة عالية جدًا، صادرة من قلب الآب السماويّ قائلاً: "ابْنِي الْبِكْرُ" (خر 4: 22) وهي نغمة من مقطعين شجويين عظيمين المقطع الأول "ابني"، المقطع الثاني "البكر".

المقطع الأول: "ابني"

وهنا نحس إحساسًا عميقًا بمحبة أبويَّة فائقة عبَّر عنها الله، بفم نبيه هوشع قائلاً: "لَمَّا كَانَ إِسْرَائِيلُ غُلاَمًا أَحْبَبْتُهُ" وبفم نبيه ملاخي قائلاً: "أَحْبَبْتُكُمْ.. وَأَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ" (قابل هوشع 11: 1 مع ملا 1: 1، 2 مع رو 9: 10- 13). وهي المحبة التي تكلم عنها موسى مع إسرائيل قائلاً: "إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ "يهوه" بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ "يهوه" إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ "يهوه" بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ" (تث 7: 6- 8 اقرأ تك 15: 7- 21؛ خر 3: 1-10؛ 19: 1- 6 مع تث 7: 1- 8؛ 18: 9- 19).

بنعمة هذه المحبة الأبويَّة يخاطب "يهوه" فرعون ملك مصر عن ابنه إسرائيل قائلاً "ابني" كأنَّه يقول: إنَّه ليس ابنك يا فرعون! لتستعبده، فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ" (خر 4: 22، 23) وما هذه المحبة، سوى صورة تمثيليّة ومظهر رمزيّ للمحبة الأبويَّة الأزليّة، في قلب الآب نحو ابنه الحبيب "الوحيد" الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ (يو 1: 18) تلك المحبة التي يرن صداها، في كل أرجاء العالم، محذرًا من كل النتائج الوخيمة والعواقب الأليمة التي تصيب جميع أمم الأرض الذين يرتجون ضد هذا "الابن الوحيد" ويتفكرون عليه بالباطل "ليقطعوا القيود ويطرحوا الرَّبط كما عبر داود في قوله: لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا، وَلْنَطْرَحْ عَنَّا رُبُطَهُمَا، اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ" (مز 2: 4، 5 اقرأ كل المزمور).

هذا هو " ابْنِ مَحَبَّتِهِ" (كو 1: 13) "اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو 1: 18) "ابن الآب" (2 يو 3) "ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت 3: 17؛ 17: 5؛ مر 9: 7؛ لو3: 22؛ 9: 35؛ 2 بط 1: 18) "أَنتَ هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مر 1: 17)، هذا هو الابن الوحيد "مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السماويّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ" (أف1: 3- 6) حتى أنَّه قيل: "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ" (رو 8: 32).

هذا هو الابن الذي "فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ" (كو 1: 19) إعلانًا لجوهر لاهوته من جوهر الآب؛ لذلك يقول: "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يو 10: 30) "اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ"، "صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ" (اقرأ يو 14: 9-11) بل هو الابن الوحيد الذي "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا" إشارة إلى تجسده فهو الكلمة الذي قيل عنه: "فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ...وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو 1: 1، 2، 14) فهو ابن الله وقد صار "ابن الإنسان" إلهًا تامًا وإنسانًا تامًا لذلك يقول الرسول: "وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ" (اقرأ غل 4: 4- 7).

وَمَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ؟ كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضًا" (1 يو 2: 22، 23 مع مت 11: 25- 27) لذلك يحذر الرسول بشدة من هذه الضلالة قائلاً: "وَهذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ: أَنْ نَسْلُكَ بِحَسَبِ وَصَايَاهُ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ: كَمَا سَمِعْتُمْ مِنَ الْبَدْءِ أَنْ تَسْلُكُوا فِيهَا. لأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ. انْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ نُضَيِّعَ مَا عَمِلْنَاهُ، بَلْ نَنَالَ أَجْرًا تَامًّا. كُلُّ مَنْ تَعَدَّى وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ لَهُ اللهُ. وَمَنْ يَثْبُتْ فِي تَعْلِيمِ الْمَسِيحِ فَهذَا لَهُ الآبُ وَالابْنُ

جَمِيعًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِيكُمْ، وَلاَ يَجِيءُ بِهذَا التَّعْلِيمِ، فَلاَ تَقْبَلُوهُ فِي الْبَيْتِ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ سَلاَمٌ. لأَنَّ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ يَشْتَرِكُ فِي أَعْمَالِهِ الشِّرِّيرَةِ. (2 يو 6- 11).

هذا هو الابن الوحيد الذي ينطبق عليه دون سواه قول الله "ابني" "ابن الله" الذي وحده دون سواه يخاطب الآب أو يتكلم عنه قائلاً: "أبي" فلا تسوغ لغيره هذه النسبة فإذا قيل عن الملائكة أنهم: "بَنو الله" (أي 1: 6؛ 28: 6) فهو قول لا يصح إلا بوصف كونهم جماعة لا أفرادًا لمن من الملائكة قال قط: "أنت ابني" (انظر شرح عب 1: 5). وهكذا إذا قيل عن القديسين أنَّهم: "أبناء الله" أو "أولاد الله" فيصح القول بوصف كونهم جماعة لا أفرادًا، فلا يسوغ لقديس أن يقول: "أنا ابن الله" مهما بلغت درجة قداسته فهو ليس إلا ابنًا لله مع سائر الأبناء. لذلك علَّمنا السيد أنْ نقول: "أبانا" (مت 6: 9؛ لو11: 2) وأعطانا روحه لنقول: "يَا أَبَا الآبُ" (رو 8: 15؛ غل 4: 6؛ انظر مر 14: 36) وقال لتلاميذه: "أبي وأبيكم" (يو 20: 17).

المقطع الثاني: "البكر"

البكر لفظ يُعبَّر عنه في قول الرَّب: "قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (خر 13: 2) حيث نتبين أن البكر المقصود هو "أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ." (لو 2: 23). غير أنَّ قصد الله الأزليّ، في اختياره القضائيّ قد تبيَّن لنا على غير هذه الطريقة الشرعيَّة بحسب الجسد. فإنَّه جلَّ اسمه، جعل إسرائيل بكرًا وهو يعقوب الذي خرج من البطن "وَيَدُهُ قَابِضَةٌ بِعَقِبِ عِيسُو" (قابل تك 25: 26 مع هو 12: 3). أي أنَّه خرج من البطن بعده، فلم يكن والحالة هذه فاتح رحم وبالتالي لم يكن بكرًا ولا قدوسًا للرب بمقتضى هذا الشرع الجسديّ.

أما في قصد الله الأزليّ، واختياره القضائيّ، فقد كان بكرًا وصار قدوسًا للرب كما تبيَّن من قول الله لأمه: "فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ، وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ، وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ" (تك 25: 23). لذلك باركه الرَّب وقال له: "لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ "يَعْقُوبَ" بَلْ "إِسْرَائِيلَ" حيث أعطاه لقب الشرف مع الله والاستظهار على الناس "لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ" (قابل تك 22: 28 مع 27: 29) هكذا جعله الله بكرًا لا بحسب الجسد والأعمال، بل بمقتضى اختيار النعمة في المحبة الأزليّة، وتمَّ القول: "أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسُوَ" (اقرأ رو 9: 10- 13 مع ملا 1: 1- 5).

هكذا تبين أيضًا في اختيار البكر بين أسباط يعقوب "بني إسرائيل" لا بحسب الشريعة الجسديَّة، بل بمُقتضى القصد الأزليّ والاختيار الإلهيّ كما يتضح من التاريخ المقدّس في القول: بنو رأوبين "بكر إسرائيل، لأنَّه هو البكر" ولأجل تدنيسه فراش أبيه أعطيت بكوريته لبني "يوسف" بن إسرائيل فلم ينسب "بكرًا" لأنَّ "يهوذا" اعتز على إخوته ومنه الرئيس وأما البكوريَّة فليوسف (1 أي 5: 1، 2) في نصّ هذا التاريخ المقدّس نرى:

أولًا: البكورية قد نزعت من رأوبين

إنَّ رأوبين هو أول فاتح رحم من بني إسرائيل ليكون بكرًا حسب الشريعة، ولكنه حُرم من هذا الامتياز لأنه دنَّس فراش أبيه (اقرأ تك 35: 22) وأعطيت البكورية ليوسف الذي لم يكن ممكنًا أن يكون بكرًا ولو أنه كان هو أيضًا فاتح رحم لامرأة أخرى لإسرائيل هي راحيل، وقد كانت هي المرأة المحبوبة، لأن نصّ الشريعة يقول: "إِذَا كَانَ لِرَجُل امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ بَنِينَ، الْمَحْبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ. فَإِنْ كَانَ الابْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبَنِيهِ مَا كَانَ لَهُ، لاَ يَجِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدِّمَ ابْنَ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ بَلْ يَعْرِفُ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ، لأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبَكُورِيَّةِ." (تث 21: 15- 17).

لكن إسرائيل (يعقوب) حَرَمَ رأوبين من حق البكوريَّة بسبب التدنيس المشار إليه (قابل تك 35: 22 مع 49: 3، 4 مع 1 أي 5: 1) فأعطيت البكوريَّة ليوسف بنصيب اثنين هما ولداه أفرايم ومنسَّا، اللذين اتخذهما يعقوب ولدين له قائلاً: "الْمَلاَكُ الَّذِي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرّ، يُبَارِكُ الْغُلاَمَيْنِ. وَلْيُدْعَ عَلَيْهِمَا اسْمِي وَاسْمُ أَبَوَيَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ" (تك 48: 16 اقرأ ع 8- 20) وهكذا تمم إسرائيل (يعقوب) بروح النبوة قصد الله الأزليّ في إقامة "يوسف" بكرًا لا باعتبار كونه فاتح رحم لأنَّه صار بكرًا في ابنه أفرايم، الذي لم يكن فاتح رحم لأمه، لأنَّ منسَّا كان هو البكر الطبيعيّ، فاتح الرَحِم بل إتمامًا لقصد الله، ذلك القصد الذي أعلن في حلمين ليوسف، وفي سجود إخوته له وهو في سيادته على عرش مصر (اقرأ تك 37: 5- 11 مع 42: 6؛ 43: 26، 28).

وإذا ذكرنا ما كان ليوسف في تلك البكوريَّة من رفعة مع الله، في لقب الشرف الأعلى، ومن سموٍ واستظهار على الناس فوق كل الرؤساء ومشايخ البلاد وعظماء الأرض (قارن مز105: 17- 22 مع تك 41: 39-44) نراه رمزًا ليس إلا، لذلك البكر المرتفع إلى الدرجة العليا في سماء المجد "الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب" (يو 1: 18) "الَّذِي إِذْ أَقَامَهُ (الآب) مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السماويّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ." (أف 1: 20- 23 مع في 2: 6- 11).

ثانيًا: الرئاسة والسيادة وشرف اللقب الملكيّ قد أُعطى لبني يهوذا

لنا أيضًا نصّ آخر في التاريخ المقدّس "أَنَّ يَهُوذَا اعْتَزَّ عَلَى إِخْوَتِهِ" (1 أخ 5: 2) بالرغم من كونه الابن الرابع من بني إسرائيل، وقد جاء هذا الاعتزاز بصيغة واضحة في بركة إسرائيل لأسباطه الأثنى عشر في روح النبوة حيث قال عن يهوذا بشأن هذا الاعتزاز: "يَهُوذَا، إِيَّاكَ يَحْمَدُ إِخْوَتُكَ، يَدُكَ عَلَى قَفَا أَعْدَائِكَ، يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ" (تك 49: 8) وهو لقب الشرف والسيادة على الناس وعلى إخوته وهو ذات اللقب الذي أعطاه إسحق لابنه "يعقوب" (تك 27: 29).

وفي نبوة يعقوب عن هذه الرئاسة يصل بنا إلى البكر الحقيقي الرئيس الأعلى، رئيس ملوك الأرض، أعلى من جميع الملوك، وذلك في قوله: "لاَ يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ" (تك 49: 10 قابل مز 89: 27 مع رؤ 1: 5) هذا هو النصيب (الصولجان) الخارج من جذع يسى (إش 11: 1) هذا هو ابن داود من جهة الجسد وابن الله البكر الوحيد من جهة روح القداسة (رو 1: 3، 4 مع مت 1: 1) هذا هو الابن الذي سيأتي عنه الكلام في مقال تال، بوصف كونه ملك إسرائيل.

قد رأينا من التاريخ المقدّس ومن النصّ المشار إليه (1 أي 5: 1، 2).

1- أن البكورية قد نزعت من رأوبين.

2- أن الرئاسة والسيادة وشرف اللقب الملكيّ قد أُعطى لبني يهوذا.

ويمكن أنْ نضيف إلى هذين الأمرين هنا أنَّ سبط لاوي قد تميز عن سائر الأسباط، إذا تطَّهر، وتكرَّس موهوبًا لخدمة الرَّب، تعالى اسمه، لبيت هارون، هبة من بني إسرائيل، بدلاً من كل بكر، فاتح رحم كما نرى في نصّ آخر حيث يقول لموسى: "خُذِ اللاَّوِيِّينَ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَطَهِّرْهُمْ... لأَنَّهُمْ مَوْهُوبُونَ لِي هِبَةً مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. بَدَلَ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ، بِكْرِ كُلِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدِ اتَّخَذْتُهُمْ لِي.. أَنَّ لِي كُلَّ بِكْرٍ. يَوْمَ ضَرَبْتُ كُلَّ بِكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَدَّسْتُهم لِي.. وَوَهَبْتُ اللاَّوِيِّينَ هِبَةً لِهَارُونَ وَبَنِيهِ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، لِيَخْدِمُوا خِدْمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ." (عد 8: 6، 16- 19 اقرأ كل الإصحاح مع خر 4: 22، 23؛ 11: 4، 5؛ 12: 13، 29، 30).

في كل ما قيل يرتفع الوحي المقدّس بأفكارنا، في موضوع البكر عن الأرحام الجسديَّة إلى القصد الأزليّ في الولادة من فوق، الولادة الثانية، الولادة من الروح القدس وبخاصة في قوله: "كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ. شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ"" (يع 1: 17، 18) كما يقول الرسول بطرس: "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" (1 بط 1: 23) لأنَّ "الْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو 3: 6 اقرأ ع1- 6) فالأبكار الحقيقيون هم المولودون من فوق بالروح القدس، بكلمة الحق، باكورة من جميع الخلائق لذلك دعيت الكنيسة "كَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ" (عب 12: 23) وهم الذين سبق الآب فعرفهم معرفة المحبة في اختيار نعمته، فسبق فعينهم "لِيَكُونُوا مُشَاكِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو 8: 29، 30).

هذا هو البكر، "بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ." (كو 1: 15)، "بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ" (رؤ 3: 14) بالمعنى الذي بيَّنه الرسول بولس في قوله: "فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشًا أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلاَطِينَ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (كو 1: 16، 17) معبَّرًا عن ذات المعنى الذي ذكره البشير يوحنا في ذات الشأن حيث قال: "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ" (يو 1: 3، 4) هذا هو الابن البكر الوحيد، الذي جعله الآب وارثًا لكل شيء "الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ" (عب 1: 2) كما أنَّه أيضًا "بِكْرٌ مِنَ الأَمْوَاتِ" (كو 1: 18) "الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ" (رؤ 1: 5) بالمعنى الذي أوضحه الرسول بولس قائلاً: "وَلكِنِ الآنَ قَدْ قَامَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ. فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ، بِإِنْسَانٍ أَيْضًا قِيَامَةُ الأَمْوَاتِ. لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ، هكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ. وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ، ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ" (1 كو 15: 20- 23) فقد قام المسيح "وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (رو 1: 4) وفي ذلك تقترن البكورية بالبنوية في المسيح بالقيامة من الأموات وصار رأسًا لكنيسة الأبكار لذلك ينصح الرسول تلميذه تيموثاوس، تشجيعًا له في آلام الاضطهاد قائلاً: "اُذْكُرْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ بِحَسَبِ إِنْجِيلِي" (2 تي 2: 8).

الآن قد انتهينا من الكلمة الأولى "إسرائيل ابني البكر" حيث تعرفنا على البكر الحقيقي "الابن الوحيد الذي في حضن الآب" رأسًا لكنيسة الأبكار، بكرًا بين إخوته المولودين ثانية: الخليقة الجديدة—إسرائيل الله، وها نحن سننتقل إلى الكلمة الثانية قوله جلَّ جلاله: "نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي".

الكلمة الثانية: قوله جلَّ جلالهُ: "نسل إبراهيم خليلي"

وقد وردت في قول الرَّب بفم النبيّ إشعياء: "وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيلُ عَبْدِي، يَا يَعْقُوبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي" (إش 41: 8). في هذا اللقب نجد أنفسنا أمام مقطعين آخرين المقطع الأول: "إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي"، المقطع الثاني: "نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ".

المقطع الأول: "إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي"

الرسول يعقوب في هذا الصدد بمناسبة تقديم إسحق محرقة يقول: "أَلَمْ يَتَبَرَّرْ إِبْرَاهِيمُ أَبُونَا بِالأَعْمَالِ، إِذْ قَدَّمَ إِسْحَاقَ ابْنَهُ عَلَى الْمَذْبَحِ، فَتَرَى أَنَّ الإِيمَانَ عَمِلَ مَعَ أَعْمَالِهِ، وَبِالأَعْمَالِ أُكْمِلَ الإِيمَانُ وَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: فَآمَنَ إِبْرَاهِيمُ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا وَدُعِيَ خَلِيلَ اللهِ" (اقرأ يع 2: 21- 23 مع تك 15: 1- 6).

على أنَّ موسى في التاريخ المقدّس قديمًا لم يذكر أية علاقة بين حسبان الإيمان برًا لإبراهيم وبين تقديمه إسحق محرقة وبالتالي لم يذكر أية علاقة بين هذين الأمرين، وبين دعوة إبراهيم "خليل الله" كما يتضح مما هو مدون في (تك 15: 1- 6) عن حسبان الإيمان برًا

وفي (تك 17: 15- 17؛ 18: 9- 15) عن تأكيد الوعد وفي (تك 21: 1- 3) عن إتمام الوعد بولادة إسحق وفي (تك 22: 1- 14) عن تقديم إسحق محرقة فإن في كل هذا التاريخ لم يشر بشيء إلى القول "دُعِيَ (إبراهيم) خليل الله".

على أنَّ العهد الجديد يُفسّر لنا بالوحي الإلهيّ هذا الموضوع محققًا لنا أنْ ذلك الإيمان بالوعد، الذي حسب لإبراهيم برًا، هو أيضًا تلك القوة التي أعطته قدرة على تقديم ابنه الوحيد الذي أحبه بإطاعته للأمر الإلهيّ فدعي خليل الله. ولعلَّ هذا اللقب بُني على قول الرَّب له: "فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي" (اقرأ تك 22: 1، 2، 15، 16) حيث نرى محبة الله في قلب إبراهيم نارًا مشتعلة فاق لهيبها لهيب محبته لابنه، فصار خليلاً حميمًا لله.

وفي تفسير الوحى المقدّس، يظهر أن إبراهيم "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ الَّذِي قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَال." (عب 11: 17- 19). هذا هو الإيمان الذي سُر الله فسَّر بإبراهيم وقال، بقلب المحبة الصادقة: "إبراهيم خليلي" وهذا يدعونا إلى الدخول في المقطع الثاني: "نسل إبراهيم".

المقطع الثاني: "نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ"

هو ذلك النسل الذي قيل فيه "بإسحق يدعى لك نسل" (تك 21: 12) وهو ذات النسل الذي وعد له أن يكون وارثًا للعالم كما قيل "فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ" (رو 4: 13).

أعطى هذا الوعد أولاً لإبراهيم ذاتيًا وصيغته "تَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (تك 12: 3) وتأكد له بأكثر وضوح في قول الرَّب له: "انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ وَعُدَّ النُّجُومَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُدَّهَا وَقَالَ لَهُ: هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ" (تك 15: 5) وقد ثبت هذا الوعد، بعهد قطعه الله معه قائلاً: "فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ، لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ. وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا، وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ... وَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «سَارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْمَهَا سَارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ. وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا. أُبَارِكُهَا فَتَكُونُ أُمَمًا، وَمُلُوكُ شُعُوبٍ مِنْهَا يَكُونُونَ." (تك 17: 4، 5، 15، 16) وهي صيغة تحصر هذا النسل الموعود به في ابن يعطى لإبراهيم من سارة. وهذا يخرج جميع أولاد إبراهيم من غير سارة.

وعندما أقترب الموعد أكد الرَّب وعده في قوله: "إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ" (تك 18: 10 اقرأ ع 9- 14) حيث تحدد الزمان لإتمام ذلك الوعد وهكذا تم الوعد (اقرأ تك 21: 1- 8) وفي هذا الصدد يقول الرسول: "بِالإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضًا أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْل، وَبَعْدَ وَقْتِ السِّنِّ وَلَدَتْ، إِذْ حَسِبَتِ الَّذِي وَعَدَ صَادِقًا لِذلِكَ وُلِدَ أَيْضًا مِنْ وَاحِدٍ، وَذلِكَ مِنْ مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ." (عب 11: 11، 12).

ويقول رسول الأمم في هذا الشأن: "أَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ. أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلًا." (رو 9: 6- 8 اقرأ ع1- 9 مع تك 21: 9- 13) وهو قول يحدد نسل إبراهيم الموعود به، باعتبار كونهم جميع المؤمنين، الذين يحسب لهم الإيمان برًا، كما حسب لإبراهيم "فَكَيْفَ حُسِبَ؟ أَوَ هُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ لَيْسَ فِي الْخِتَانِ، بَلْ فِي الْغُرْلَةِ! وَأَخَذَ عَلاَمَةَ الْخِتَانِ خَتْمًا لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ، لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ، كَيْ يُحْسَبَ لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ. وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَانَ وَهُوَ فِي الْغُرْلَةِ." (رو 4: 10- 12).

إذًا نسل إبراهيم هم جميع الذين يسلكون في خطوات إيمان إبراهيم سواء أكانوا أممًا أم يهودًا لا فرق أما خطوات إيمان إبراهيم المقصودة فقد أوضحها الرسول أيضًا في قوله عن إبراهيم: "إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ. فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ: «هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ—وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ—وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا للهِ. وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا. لِذلِكَ أَيْضًا: حُسِبَ لَهُ بِرًّا». (رو 4: 17- 22).

هذا يبين لنا جليًا أن إيمان إبراهيم كان إيمانًا بالله القادر أن يُحيي الموتى، فقد أقام من الأموات أبنًا في جسد ممات من مماتيّة مستودع سارة فهو إذًا إيمان بالقيامة من الأموات، لذلك يقول: "وَلكِنْ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ أَجْلِهِ وَحْدَهُ أَنَّهُ حُسِبَ لَهُ (برًا)، بَلْ مِنْ أَجْلِنَا نَحْنُ أَيْضًا، الَّذِينَ سَيُحْسَبُ لَنَا (الإيمان برًا)، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا" (رو 4: 23- 25). لذلك يقول أيضًا: "لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ. لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ، وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ." (رو 10: 9، 10).

على أنَّ الرسول يرتفع في هذه النغمة الموسيقيّة، الخاصة بنسل إبراهيم، إلى أعلى درجات السمو، فيصل بنا إلى السيد المسيح باعتبار كونه ذاك النسل المبارك: "النسل الذي وعد له" كما قيل: "وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي "نَسْلِهِ". لاَ يَقُولُ: «وَفِي الأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. (انظر غل 3: 16، 19). على أنَّه وهو في هذا السموّ العجيب، لم ينس الذين للمسيح باعتبار كونهم هم أيضًا نسل إبراهيم، كما سبقت الإشارة فأوضح هذه الحقيقة قائلاً: "أَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ أَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ."

هكذا تمَّت الكلمة النبويّة القائلة عن المسيح: "إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى "نَسْلًا" تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ. مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ، وَآثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا." (اقرأ إش 53: 10- 12).

الآن وقد انتهينا من الكلمة الثانية وهي "نسل إبراهيم" ورأينا هذا النسل المبارك أنه المسيح ونسله سنتقدم إلى فحص الكلمة الثالثة من الصفة الرمزية النبويّة هي قوله له المجد: "أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد" (إش 49: 3 اقرأ كل الأصحاح)

ثالثًا: الصفة الرمزيّة النبويّة هي قوله له المجد: "أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد"

الصفة الرمزيّة النبويّة هي قوله له المجد: "أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد"، في هذه الكلمة أيضًا نرى مقطعين: أولهما: أنت عبدي إسرائيل. ثانيهما: الذي به أتمجد.

المقطع الأول: "أنت عبدي إسرائيل"

وهل يتفق اللقب "عبدي" مع اللقب "ابني"؟ هل يصح أن يُقال "عبدي إسرائيل" بعد أن قيل: "إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ"؟ (خر 4: 22) ومن العجيب أن يكرر إشعياء النبيّ الملقب بالإنجيليّ هذا اللقب: "عبدي" حيث يقول: "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ" ولكنه يلحقه بالقول: "هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي

الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ." (إش 42: 1– 4) نجد جوابًا لهذا السؤال فيما ورد في (مت 12: 15– 20) حيث نجد أن هذا العبد المختار هو "يسوع" الذي يخرج الحق إلى النصرة، وعلى أسمه يكون رجاء الأمم.

وإذا رجعنا إلى تعبير أخر حيث نسمع القول: "هوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَفِي وَيَتَسَامَى جِدًّا. كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. هكَذَا يَنْضِحُ أُمَمًا كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ، لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ، وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ." (إش 52: 13– 15).

أي عبد هذا؟ الذي عليه تنطبق هذه الأوصاف العجيبة الفائقة جدًا ويزداد التساؤل في عجب أشد معبرًا عنه بالقول: مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ، لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيَهُ. مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. (اقرأ هذا التساؤل كما ورد في إش 53: 1– 3 وانظر الجواب كما ورد في يو 12: 35– 41 مع إش 6: 9، 10مع مت 13: 13– 15، مر4: 12؛ أع 28: 25– 27).

في هذه الشواهد نتحقق أن هذا العبد الملقب "عبدي إسرائيل هو "المسيح يسوع" الذي قال فيه رسول الأمم " فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي "الْمَسِيحِ يَسُوعَ" أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ" (في 2: 5– 7) وهو ذلك العبد الذي عبر عنه "ابن الله" ذاته عن نفسه بلغة الكلمة النبويّة في خطابه لأبيه قائلاً: "أذني فتحت" هأَنَذَا جِئْتُ. بِدَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي أَنْ أَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا إِلهِي سُرِرْتُ، وَشَرِيعَتُكَ فِي وَسَطِ أَحْشَائِي" (مز 40: 6– 8).

وهو قول ورد مُفَسَّرًا في العهد الجديد على النحو التالي لذلك عند دخوله إلى العالم، يقول: "ذَبِيحَةً وَقُرْبَانًا لَمْ تُرِدْ، وَلكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَدًا.. هنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ" فَبِهذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً. (انظر شرح عب 10: 1– 5).

الإشارة في كل ذلك تتضح وضوحًا جاليًا من الشريعة الموسويّة الخاصة بثقب أذن العبد الحر الذي يحب سيده، فيخدمه إلى الأبد وهي الشريعة المنوه عنها في قول المرنم: "أذني فتحت" (اقرأ خر 21: 2– 6 مع مز 40: 6– 8 مع عب 10: 5– 10 مع في 2: 6– 8 اقرأ أيضًا يو 4: 31– 34؛ 6: 38– 40؛ 8: 29؛ 14: 30، 31).

هذا هو "عبد الرَّب" الذي قيل في صدده، "أَيُّهَا الصُّمُّ اسْمَعُوا. أَيُّهَا الْعُمْيُ انْظُرُوا لِتُبْصِرُوا. مَنْ هُوَ أَعْمَى إِلاَّ عَبْدِي، وَأَصَمُّ كَرَسُولِي الَّذِي أُرْسِلُهُ؟ مَنْ هُوَ أَعْمَى كَالْكَامِلِ، وَأَعْمَى كَعَبْدِ الرَّبِّ؟ نَاظِرٌ كَثِيرًا وَلاَ تُلاَحِظُ. مَفْتُوحُ الأُذُنَيْنِ وَلاَ يَسْمَعُ. الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بِرِّهِ. يُعَظِّمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا" (قابل إش 42: 18– 23؛ 50: 7– 9 مع 1 بط 2: 21– 25).

المقطع الثاني: "الذي به أتمجد"

هذا قول الآب عن ابنه الذي يلقب هنا بلقب: "عبدي إسرائيل" وهذا أمر يحققه لنا هذا الابن ذاته في صلاته ليلة صلبه وهو يقول: "أَيُّهَا الآبُ، قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ. وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ." (يو 17: 1، 4، 5).

وهو ترديد لما سبق أن نطق به وهو متكئ على العشاء بعد خروج يهوذا لإتمام ما ألقاه الشيطان في قلبه ليسلم سيده (يو 13: 3) حيث قال: "الآنَ تَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ وَتَمَجَّدَ اللهُ فِيهِ. إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ تَمَجَّدَ فِيهِ، فَإِنَّ اللهَ سَيُمَجِّدُهُ فِي ذَاتِهِ، وَيُمَجِّدُهُ سَرِيعًا." (يو 13: 31، 32).

هذا هو التمجيد الذي يتضح في لغة النبوة ما رواه النبيّ إشعياء بروح هذا الآن وعن لسانه قائلاً: "اِسْمَعِي لِي أَيَّتُهَا الْجَزَائِرُ، وَاصْغَوْا أَيُّهَا الأُمَمُ مِنْ بَعِيدٍ: الرَّبُّ مِنَ الْبَطْنِ دَعَانِي. مِنْ أَحْشَاءِ أُمِّي ذَكَرَ اسْمِي، وَجَعَلَ فَمِي كَسَيْفٍ حَادٍّ. فِي ظِلِّ يَدِهِ خَبَّأَنِي وَجَعَلَنِي سَهْمًا مَبْرِيًّا. فِي كِنَانَتِهِ أَخْفَانِي. وَقَالَ لِي: «أَنْتَ عَبْدِي إِسْرَائِيلُ الَّذِي بِهِ أَتَمَجَّدُ." (إش 49: 1- 3 مع غل 1: 15 مع عب 4: 12، 13 مع رؤ 1: 16؛ 2: 12؛ 19: 15 مع إر 23: 28، 29 مع مت 3: 10- 12) حيث نتبين قصد الآب في أرسال ابنه عبدًا متجسدًا كما سبقت الإشارة في لقب "عبدي إسرائيل" وهذا القصد منحصر في تمجيد الآب في الابن وفي نور قرينة الكلام هذا، وبخاصة في قوله: "وَالآنَ قَالَ الرَّبُّ جَابِلِي مِنَ الْبَطْنِ عَبْدًا لَهُ، لإِرْجَاعِ يَعْقُوبَ إِلَيْهِ، فَيَنْضَمُّ إِلَيْهِ إِسْرَائِيلُ فَأَتَمَجَّدُ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَإِلهِي يَصِيرُ قُوَّتِي" (إش 49: 5) يتضح لنا أن الآب أرسل ابنه الحبيب عبدًا متجسدًا إلى بيت إسرائيل، في مأمورية خاصة مبينة في قول الوحي: "فَإِذْ كَانَ لَهُ أَيْضًا ابْنٌ وَاحِدٌ حَبِيبٌ إِلَيْهِ، أَرْسَلَهُ أَيْضًا إِلَيْهِمْ أَخِيرًا، قَائِلًا: إِنَّهُمْ يَهَابُونَ ابْنِي" (مر 12: 6 انظر مت 21: 27؛ 20: 13).

وقد وضع هذا الابن الواحد الحبيب هذه المأمورية الخاصة على قلبه إطاعة لأمر الآب السماويّ وإتمامًا لقصده الأزليّ لذلك "إلى خاصته جاء" (يو 1: 11). جاء خصيصًا لبيت إسرائيل كما صرح بذلك أثناء تلك الإرساليّة في قوله لتلاميذه "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة مؤكدًا ذلك المرأة الكنعانية في صرختها إليه لشفاء ابنتها في قوله لها: ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين (بيت إسرائيل) ويطرح للكلاب (الأمم) (اقرأ مت 15: 21- 28) وهكذا أوصى تلاميذه باحترام هذه الإرساليّة الخاصة عندما أرسلهم قائلاً: "إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا، بَلِ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" (مت 10: 5، 6).

على أنَّه بالرغم من إعداد الابن الوحيد "عبدي إسرائيل" لهذه المأمورية إعدادًا خاصًا، وبالرغم مما تسلح به ذلك العبد من السهام النارية الفعالة سهام الكلمة الإلهيّة الحية وبالرغم من محافظته على قصد الآب باختصاص هذه الإرساليّة ببيت إسرائيل لم تثمر إرساليته إليهم ولم يتم انتظار صاحب ذلك الكرم حيث "انتظر أن يصنع عنبًا فصنع عنبًا رديئًا" (إش 5: 2، 4) لأن الكرامين حالما رأوا ذلك الابن آتيًا إليهم يطلب ثمرًا من ذلك الكرم قالوا: "هذَا هُوَ الْوَارِثُ! هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ فَيَكُونَ لَنَا الْمِيرَاثُ" (مر 12: 7 انظر مت 21: 38 ولو 30: 14 مع أع 4: 10) وذلك بعد أن قتلوا جميع الذين أرسلوا إليهم قبله (اقرأ مت 21: 33- 38 مع مر 12: 1- 7 مع لو 30: 9- 14) فلم يقف عنادهم إلى حد أنَّهم أبغضوه بلا سبب وأبغضوا أباه أيضًا (يو 15: 24، 25 مع مز 69: 4) بل تعدى الأمر إلى أنَّهم قتلوه معلقين إياه على خشبه (أع 5: 20؛ 10: 29 انظر مت 27: 15- 26 اقرأ ص 26: 63- 66 مع ص 27).

على أنَّه بالرغم من عدم قبولهم إيَّاه وبالرغم من كونهم احتقروه ورفضوه وأبغضوه هو والآب فإنَّه بقى محافظًا على هذه المأموريَّة الخاصة بالطريقة المبينة في مثل العرس أي في إرسال الدعوة إلى وليمة العرس أولاً المدعوين الذين هم بيت إسرائيل يوصف كونهم إسرائيليين ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد" (رو 9: 4، 5) حيث قيل في المثل المشار إليه إنَّ الملك الذي صنع العرس لابنه أرسل عبيده ليدعوا أولئك المدعوين (وهم اليهود) إلى العرس... ثم عاد أيضًا فأرسل عبيدًا آخرين قائلاً: "قُولُوا لِلْمَدْعُوِّينَ: هُوَذَا غَدَائِي أَعْدَدْتُهُ. ثِيرَانِي وَمُسَمَّنَاتِي قَدْ ذُبِحَتْ، وَكُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ. تَعَالَوْا إِلَى الْعُرْسِ!" (اقرأ مت 22: 1- 4)

وقد تمت هذه الدعوة فعلاً بمقتضى قصد الآب في كون الابن الوحيد الحبيب العريس المبارك بعد قيامته من الأموات وعند صعوده إلى السموات أوصى تلاميذه بالروح القدس ليكونوا شهودًا له قائلاً: "تَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ " (أع 1: 8). إتمامًا للكلمة النبويّة المكتوبة القائل: "سيخرج من صهيون" "المنقذ" ويرد الفجور عن يعقوب" (قابل رو11: 26 مع مز14: 7 مع إش 59: 20) فإنَّه من صهيون أي من أورشليم لابد أن تخرج الدعوة الإنجيليّة بيد هؤلاء الرسل إلى أولئك الإسرائيليين لردهم عن فجورهم المبين في مثل الكرم (مت 21: 23- 46) والذي وصل إلى حد لا يطاق في قتل هذا الوارث الحقيقي.

هكذا فعل الرسل كما أوصاهم سيدهم مقدمين الدعوة أولاً إلى أولئك المدعوين الإسرائيليين كما يتبين من قول بطرس رسول الختان: "أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلًا لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ" (أع 3: 25، 26 اقرأ أع 14- 26). ومن قول بولس رسول الأمم: "كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللهِ" (أع 13: 46) ولكنهم بالرغم من كل ذلك لم يرعوا عن غيهم ولم يرتدوا عن فجورهم بل زادوا وملئوا مكيال أبائهم كما تنبأ لهم السيد، له المجد، قبل موته قائلاً: "فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي! كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً، فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ، وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ، وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ، مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هذَا الْجِيلِ" (مت 23: 29- 36).

هكذا حمَّ القضاء على تلك الأمة اليهوديَّة وتمَّ خرابها كما أنبأ السَّيِّد نفسه وكما أعلن في مثل العرس حيث قيل: "فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ غَضِبَ، وَأَرْسَلَ جُنُودَهُ وَأَهْلَكَ أُولئِكَ الْقَاتِلِينَ وَأَحْرَقَ مَدِينَتَهُمْ" (مت 22: 7) فقد كان جنود غضبه في تلك المناسبة جنود النسور الرومانيَّة التي عبر عنها بقوله: "حَيْثُ تَكُونُ الْجُثَّةُ هُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ" (قابل مت 24: 28 مع لو 17: 27) فقد أصبحت هذه الأمة بعد أنشقاق حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل (مت 27: 51) وزوال المجد من إسرائيل وإبطال العبادة الطقسيَّة الخاصة بذلك النظام، أصبحت تلك الأمة جثة هامدة لا حياة فيها في شرها وعنادها فأرسل الملك النسور الرومانيَّة لإتمام الخراب فأحاطوا بالمدينة وهدموها وبنيها فيها وأحرق الهيكل وقتل الشعب وتشتت وحرثت الأرض وتمَّ قول السيد: "يَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ" (لو 19: 44 مع مت 24: 2 اقرأ لو 19: 41- 44 مع مت 23: 37؛ 38 مع دا 9: 23- 27؛ 12: 11؛ مت 24: 15- 28؛ مر 13: 14؛ لو 21: 20- 24؛ مت 34: 10- 28؛ مر 12: 9- 12؛ يو 13: 31- 35؛ 21: 5- 32).

فقد كان أولئك الجنود الذين أرسلهم "الملك رب الجنود في غضبه، هم جنود النسور الرومانيَّة" بقيادة القائد تيطس حيث أحرق الهيكل وحرثت المدينة وتشتت الشعب في سنة 70 ميلاديّة.

هكذا تم القضاء مبرمًا، على بيت إسرائيل ومزقت النسور الرومانيَّة تلك الجثة البالية وانتهت علاقة لك الأمة بالإله العظيم "يهوه" كأمة خاصة بجلاله وأصبحوا كسائر أمم الأرض، كما عبَّر النبيّ إشعياء في تمثيله تلك الأمة بكرم حيث أنشد قائلاً: "كَانَ لِحَبِيبِي كَرْمٌ عَلَى أَكَمَةٍ خَصِبَةٍ، فَنَقَبَهُ وَنَقَّى حِجَارَتَهُ وَغَرَسَهُ كَرْمَ سَوْرَقَ، وَبَنَى بُرْجًا فِي وَسَطِهِ، وَنَقَرَ فِيهِ أَيْضًا مِعْصَرَةً، فَانْتَظَرَ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا فَصَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا. «وَالآنَ يَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُوذَا، احْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي. مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا، صَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا؟ فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لاَ يُقْضَبُ وَلاَ يُنْقَبُ، فَيَطْلَعُ شَوْكٌ وَحَسَكٌ. وَأُوصِي الْغَيْمَ أَنْ لاَ يُمْطِرَ عَلَيْهِ مَطَرًا».إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، وَغَرْسَ لَذَّتِهِ رِجَالُ يَهُوذَا. فَانْتَظَرَ حَقًّا فَإِذَا سَفْكُ دَمٍ، وَعَدْلًا فَإِذَا صُرَاخٌ." (اقرأ إش 5: 1- 7).

هكذا سقطت "أسباط يعقوب" وكأننا نرى هذا الابن الحبيب "عبدي إسرائيل" والدموع تذرف من عينيه وصوته يتهدج في بكائه على أورشليم وهو يقول بلغة النبوة "إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ... أَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ" (اقرأ لو 19: 40- 41) "عَبَثًا تَعِبْتُ. بَاطِلًا وَفَارِغًا أَفْنَيْتُ قُدْرَتِي" (إش 49: 4).

على أن هذا الابن المبارك (عبدي إسرائيل) يعود فيقول: ولكن "حَقِّي عِنْدَ الرَّبِّ، وَعَمَلِي عِنْدَ إِلهِي" (إش 49: 4) محققًا أن هذه الإرساليّة لا يمكن أن تفشل لأن كلمة الله لا يمكن أن تسقط ووعده لابد أن يتم وبخاصة بعد أن سمع قول الرَّب له: "قَلِيلٌ أَنْ تَكُونَ لِي عَبْدًا لإِقَامَةِ أَسْبَاطِ يَعْقُوبَ، وَرَدِّ مَحْفُوظِي إِسْرَائِيلَ. فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (إش 49: 6) وهو وعد يحقّق لهذا الابن المحبوب أن إقامة أسباطج يعقوب تقوم لا برد محفوظي إسرائيل فحسب بل يضم الأمم أيضًا في كل أقاصي الأرض، وأن شعبه سيكون من كل أمة وقد تحقق هذا الوعد فعلاً، بإعلان السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال أخر لم يعرف به بنو البشر كما أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، هذا السر هو "أَنَّ الأُمَمَ شُرَكَاءُ فِي الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ" (قابل كو 1: 26، 27؛ مع أف 3: 4- 6).

بمقتضى هذا الإعلان أدرك الرسول بولس، رسول الأمم هذا السر ولكنه لم ينس أيضًا أن يقدم كلمة الكرازة أولاً لليهود وهذا ما فعله في أنطاكية بيسيديّة بعد إفرازة في أنطاكية سوريّة رسولاً خاصًا للأمم، حين دخل مجمع اليهود وكرز لهم في يوم السبت: "وَفِي السَّبْتِ التَّالِي اجْتَمَعَتْ كُلُّ الْمَدِينَةِ تَقْرِيبًا لِتَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ وبينهم الأمم، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودُ الْجُمُوعَ امْتَلأُوا غَيْرَةً، وَجَعَلُوا يُقَاوِمُونَ مَا قَالَهُ بُولُسُ مُنَاقِضِينَ وَمُجَدِّفِينَ." (أع 14: 43- 44) أَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ وَالتَّحَزُّبُ، هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ" (يع 3: 14- 16).

وفي مرارة هذه الغيرة وفي شدة هذا التحزب "جعلوا (اليهود) يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين (أع 13: 45) كعادتهم ولا عجب فإنَّ هذه هي طبيعتهم كما وصفهم الرسول بقوله: "الَّذِينَ قَتَلُوا الرَّبَّ يَسُوعَ وَأَنْبِيَاءَهُمْ، وَاضْطَهَدُونَا نَحْنُ. وَهُمْ غَيْرُ مُرْضِينَ للهِ وَأَضْدَادٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ. يَمْنَعُونَنَا عَنْ أَنْ نُكَلِّمَ الأُمَمَ لِكَيْ يَخْلُصُوا، حَتَّى يُتَمِّمُوا خَطَايَاهُمْ كُلَّ حِينٍ. وَلكِنْ قَدْ أَدْرَكَهُمُ الْغَضَبُ إِلَى النِّهَايَةِ." (1 تس 2: 15، 16).

وما كان أعجب موقف الرسول أمام تلك الغيرة المرة، مواجهًا إياهم مجاهرًا بالقول: "إِنَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ. أَنْ هكَذَا أَوْصَانَا الرَّبُّ: قَدْ أَقَمْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ، لِتَكُونَ أَنْتَ خَلاَصًا إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. فَلَمَّا سَمِعَ الأُمَمُ ذلِكَ كَانُوا يَفْرَحُونَ وَيُمَجِّدُونَ كَلِمَةَ الرَّبِّ. وَآمَنَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا مُعَيَّنِينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ" (أع 13: 46- 48 اقرأ كل الأصحاح). هذه الوصية الخاصة بالأمم (أع 13: 47) هي ذات الوعد النبويّ (إش 49: 6) وكلاهما مقترن بشخص واحد في موضوع واحد أما الشخص الواحد فهو "عبدي إسرائيل" (إش 49: 3) وقد تكلّمنا عنه بوضوح.

أما الموضوع الواحد، فعنوانه بحسب هذه النبوة هو "إقامة أسباط يعقوب" ولعله هو ذات الموضوع الذي تنبأ به عاموس النبيّ عن إقامة "مِظَلَّةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ" حيث قال: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أُقِيمُ مِظَلَّةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأُحَصِّنُ شُقُوقَهَا، وَأُقِيمُ رَدْمَهَا، وَأَبْنِيهَا كَأَيَّامِ الدَّهْرِ." يقول الرَّب الصانع هذا (عا 9: 11، 12) وقد فسَّر العهد الجديد هذه الكلمة النبويّة باعتبار كونها نبوة عن دعوة الأمم للدخول في ملكوت الله "بَيْتِ اللهِ، الَّذِي هُوَ كَنِيسَةُ اللهِ الْحَيِّ، عَمُودُ الْحَقِّ وَقَاعِدَتُهُ." قابل (1 تي 3: 15 مع مت 21: 43) ولذلك يقول رسول الأمم المتنصرين في الأمم: "فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ (الكنيسة) مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلًا مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ. الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ (يهود وأمم) مَعًا، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ. (أف 2: 19- 22 اقرأ ع 11- 22).

بهذا التفسير، يتضح لنا أن "إقامة أسباط يعقوب" وبالتالي إقامة مِظَلَّةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ يتم بدخول الأمم مع اليهود في الكنيسة، جنبًا إلى جنب دون تفريق بينهما كما قيل: "وَلَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ حَيْثُ لَيْسَ يُونَانِيٌّ وَيَهُودِيٌّ، خِتَانٌ وَغُرْلَةٌ، بَرْبَرِيٌّ سِكِّيثِيٌّ، عَبْدٌ حُرٌّ، بَلِ الْمَسِيحُ الْكُلُّ وَفِي الْكُلِّ" (قابل كل 3: 9- 11 مع غل 3: 26- 29؛ 6: 14-16).

هذه الحقيقة أعلنها الروح القدس صريحًا في قرار المجمع الأورشليميّ الأول على يد الرسل والمشايخ في قضية بين قوم من متنصري اليهود وبين الرسول بولس رسول الأمم حيث كان أولئك المتنصرون يعلمون الأمم المتنصرين قائلين: "إِنْ لَمْ تَخْتَتِنُوا حَسَبَ عَادَةِ مُوسَى، لاَ يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَخْلُصُوا فَلَمَّا حَصَلَ لِبُولُسَ وَبَرْنَابَا مُنَازَعَةٌ وَمُبَاحَثَةٌ لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ مَعَهُمْ، رَتَّبُوا أَنْ يَصْعَدَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَأُنَاسٌ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الرُّسُلِ وَالْمَشَايِخِ إِلَى أُورُشَلِيمَ مِنْ أَجْلِ هذِهِ الْمَسْأَلَةِ (القضية). وبعد أن استمعوا من بولس وبرنابا عن عمل الرَّب بين الأمم وبعد أن تكلم بطرس عن اهتداء الأمم إلى المسيح عن يده بحيث لم يفرق بينهم وبين اليهود قام يعقوب (ولعله كان رئيس المجمع حينئذ) وأثبت أن ما حدث وما قيل في شأن الأمم توافقه أقوال الأنبياء مشيرًا إلى نبوة عاموس (عا 9: 11، 12).

بشأن إقامة خيمة داود الساقطة محققًا أن تلك النبوة بإقامة تلك الخيمة ثانية وبناء ردمها وتحصين شقوقها إنما هي نبوة بإقامة كنيسة المسيح يهودًا وأممًا من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، مبرهنًا ذلك من نصّ ذات النبوة حيث يقول: "سَأَرْجِعُ بَعْدَ هذَا وَأَبْنِي أَيْضًا خَيْمَةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأَبْنِي أَيْضًا رَدْمَهَا وَأُقِيمُهَا ثَانِيَةً، لِكَيْ يَطْلُبَ الْبَاقُونَ مِنَ النَّاسِ الرَّبَّ، وَجَمِيعُ الأُمَمِ الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هذَا كُلَّهُ." (أع 15: 16، 17).

وقد عقَّب يعقوب على هذا الكلام قائلاً معلومة عند الرَّب منذ الأزل جميع أعماله (أع 15: 18). وبهذا التعقيب يرجع بنا إلى بطن الأزل حيث لا تاريخ ولا زمن إلى قصد الآب قبل كل الدهور في ملكوت ابنه، وكنيسته المباركة، عروسه المحبوبة لتضم جميع المختارين من أقاصي الأرض إلى أقاصيها من كل أمة وقبيلة ولسان وشعب مكافأة لابنه الحبيب الملقب في النبوة بلقب "عبدي إسرائيل" في تجسده وذبيحته كقول النبيّ إشعياء أيضًا: "إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ" (إش 53: 10 اقرأ كل الأصحاح) وهذا هو السرور الذي أعطى الابن قوة على احتمال كل المشقات في هذه الإرساليّة كما يتضح من القول: "نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ" (عب 12: 2).

وأي سرور له أعظم من أن يكون بكرًا بين إخوة كثيرين وأي فرح لقلبه أسمى من أن يضع نفسه لأجل كنيسته التي أحبها، وأسلم نفسه لأجلها، لِكَيْ يُحْضِرَهَا لِنَفْسِهِ كَنِيسَةً مَجِيدَةً، لاَ دَنَسَ فِيهَا وَلاَ غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلاَ عَيْبٍ" (أفرأ أف 5: 25– 33) فإن يشعر بعد بأن تعبه كان باطلاً ولا أن قدرته قد أفنيت عبثًا إذ صار نورًا للأمم وخلاصًا إلى أقصى الأرض (قابل إش 49: 6 مع أع 13: 47).

وقد حقق لنا الرائي االلاهوتيّ يوحنا ذلك حين رأى الأربعة الحيوانات والأربعة والعشرين شيخًا وقد خروا أمامه مترنمين قائلين: "وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ، وَجَعَلْتَنَا لإِلهِنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً، فَسَنَمْلِكُ عَلَى الأَرْضِ" (رؤ 5: 9، 10 اقرأ كل الأصحاح مع ص7: 9– 17).

وهل ننسى مجد إسرائيل؟ والكلمة النبويّة تحقق لنا أن تعب هذا الابن الوحيد لم يكن باطلاً إلى أقصى حدوده في إرساليّته إلى إسرائيل وأن "أسباط يعقوب" لم تسقط إلا لتقام ثانية وأن مظلة داود لم تصر ردمًا، إلا لتعود إلى البناء، فلابد أن يتم قصد الله الأزليّ، أيضًا برد محفوظي إسرائيل (إش 49: 6). كجزء من مكافأة أتعاب ذلك الابن الملقب "عبدي إسرائيل" وهذا هو ما نطق به الروح القدس بفم سمعان في قوله عن الصبي يسوع، حين وجده في الهيكل وعمره أربعين يومًا وأخذه على ذراعيه وباركه وقال: "الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (لو 2: 29– 32 اقرأ ع 25– 35) الأمر الذي يحقق لنا أن قصد الله الأزليّ كان هو أن تكون كنيسته المباركة بسب اختيار النعمة من

جميع أمم الأرض وشعوب المسكونة أفرادًا مكتوبة أسماؤهم منذ تأسّيس العالم في سفر حياة الخروف (رؤ 13: 8 راجع خر 32: 32؛ دا 12: 1؛ في 4: 3؛ رؤ 3: 5؛ 20: 12، 15؛ 21: 27).

كما عقَّب البشير يوحنا على نبوة رئيس الكهنة قيافا بقوله: "بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ" (يو 11: 50- 52 قابل مت 24: 31).

وقد أثبت التاريخ المقدّس قديمًا أزليَّة هذا القصد في إدخال بعض أفراد الأمم إلى جماعة إسرائيل بطرق شتى، حيث نقرأ عن راحاب الزانية وبيتها من شعب أريحا (اقرأ يش 2: 1-19؛ 6: 17، 23 مع مت 1: 5 مع عب 11: 31) وعن راعوث الموآبيَّة (مت 1: 5 اقرأ سفر راعوث 1- 4، 15- 19؛ 4: 13- 17) وأرملة صرفة صيدا التي اختارها الرَّب دون جميع أرامل إسرائيل وأمرها أن تعول إيليا النبيّ فعالته مدة ثلاث سنين وستة أشهر جوع في إسرائيل (1 مل 17: 8- 24 مع لو 4: 25، 26؛ يع 5: 17) ونعمان السريانيّ الذي اختاره الله دون جميع البرص في إسرائيل لشفائه من برصه (اقرأ 2 مل 5؛ انظر لو 4: 27) والسيد في زمانه شهد شهادة إلهيّة حقًا عن رجل أمميّ وعن امرأة أمميّة بالنسبة إلى إيمانهما فشَهَدَ عن الرجل وهو قائد مئة رومانيّ قائلاً لليهود: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا" (مت 8: 10؛ اقرأ ع 5- 13) كما شَهَدَ للمرأة بقوله لها: "يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ." (مت 15: 28؛ اقرأ ع 21- 28).

ويضيف الرسول بولس إلى ما ذكره أن الله "الَّذِي فِي الأَجْيَالِ الْمَاضِيَةِ تَرَكَ جَمِيعَ الأُمَمِ يَسْلُكُونَ فِي طُرُقِهِمْ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ بِلاَ شَاهِدٍ، وَهُوَ يَفْعَلُ خَيْرًا" لجميع الأمم على السواء (اقرأ أع 14: 15- 18؛ انظر مت 5: 45 مع لو 6: 35، 36) الأمر الذي يؤكِّد لنا أن الله لم يترك الأمم نهائيًا إذ كان في قصده الأزليّ أن يعود بهم إلى كنيسته المباركة ليعطيهم لابنه الحبيب ضمن شعبه المقدّس الذي قدس نفسه لأجله لذلك نسمع الرسول يقول للاثينوبين وهم أمم يونانيّون فلاسفة: "فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ، بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ" (أع 17: 30، 31 اقرأ الخطاب من ع 22-31).

كما أثبت التاريخ المقدّس قديمًا قصد الله الأزليّ من جهة الأمم كما رأيناه هكذا أيضًا أثبت ذلك التاريخ قصد الله بشأن بني إسرائيل، الذين نقضوا عهده وهدموا مذابحه وقتلوا أنبياءه وعبدوا البعل بقيادة إيزابل الشريرة في زمان الملك آخاب، حيث نسمع إيليا يرفع صوته عاليًا مشتكيًا بنفس مرة ذلك الشعب قائلاً للرب: "قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا" (1مل 19: 10) فأجابه الرَّب: "وَقَدْ أَبْقَيْتُ فِي إِسْرَائِيلَ سَبْعَةَ آلاَفٍ، كُلَّ الرُّكَبِ الَّتِي لَمْ تَجْثُ لِلْبَعْلِ وَكُلَّ فَمٍ لَمْ يُقَبِّلْهُ" (1 مل 19: 18؛ اقرأ رو 11: 1- 5 مع 2 مل ص17، 18، 19).

هذه البقية التي أبقاها الرَّب في إسرائيل حسب اختيار النعمة هي المعبَّر عنها في نبوة إشعياء بالقول: "محفوظي إسرائيل" (إش 49: 6) هم المحفوظون أفرادًا في هذا الشعب لينضم إليهم أبناء الله من جميع الأمم لإقامة خيمة داود الساقطة لتكون كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته (1 تي 3: 14، 15).

أما الباقون من بني إسرائيل الذين تقسوا ولم يؤمنوا ونقضوا عهد الله للهلاك، فسيأتي الكلام عنهم في مقال خاص مُفصّل، شرحًا لما أورده الرسول بولس في هذا الشأن في الأصحاحات 9، 10، 11 من رسالته إلى أهل رومية تحت عنوان "سقوط إسرائيل".